

## الإسلاميون والمسيحيون العرب

يُعدّ هذا الكتاب حصيلة ندوة علمية حملت عنوان "الإسلاميون والمسيحيون العرب" أقامها مركز دراسات الشرق الأوسط في عمّان بالتعاون مع المعهد الملكي للدراسات الدينية بتاريخ 2012/10/13، وشارك فيها مجموعة من الخبراء والمختصين ورجال الدين والسياسيين من مصر ولبنان والأردن.

يتناول الكتاب موضوع بناء العلاقة بين الإسلاميين والمسيحيين وتحدياتها من جوانب مختلفة، أخذاً بعين الاعتبار آراء وهواجس وآمال الطرفين، مقيماً تاريخ تلك العلاقة ومستشرفاً مستقبلها في ضوء الأحداث المتسارعة في الوطن العربي، التي أوصلت الإسلاميين إلى الحكم في عدد من الأقطار العربية منذ العام 2011.

وفي كلمته أوضح د. كامل أبو جابر، مدير العهد الملكي للدراسات الدينية في الأردن، أن خلفية موضوع الكتاب ترتبط بمسألة علاقة الدين بالدولة، وهي مسألة معقدة وشائكة تتباين حولها الآراء والعقائد والأفكار، وأوضح أن الموضوع يضم في ثناياه فرضية أن هناك إشكالية لا بدّ من البحث فيها، والتي هي في الأساس ليست مشكلة المسيحيين وحسب، وإنما هي مشكلة الأمة بأطيافها كافة، مسلمين ومسيحيين وغيرهم، وأن هذه المشكلة حديثة العهد تاريخياً قامت مع ظروف الأمة الصعبة والمعقدة منذ نزول جند نابليون إلى مصر عام 1798.

كما أوضح أ. جواد الحمد، مدير مركز دراسات الشرق الأوسط، أن الحوار المباشر والمصارحة ومناقشة الواقع والتشارك في رسم ملامح المستقبل بين المواطنين من مسيحيين ومسلمين يعدّ عملاً نبيلاً يحمينا من خطر الطائفية والتفكير الطائفي، بل ويضعف مبررات التدخل الأجنبي في بلادنا تحت هذه الحجة، وأضاف بأن تحقيق هذه الرؤية بعد التوصل إليها يقع على عاتق القيادات السياسية والدينية في سياق تيارات الإسلام السياسي من جهة، والمسيحيين العرب من جهة أخرى، موضحاً بأن الاتفاق على برنامج عمل يحدد دور كل طرف وواجباته تأسيساً على دستور وقانون حاكم للمواطنة والحقوق والواجبات المدنية والدينية لكل المواطنين يعدّ من أهم الأعمدة لإنجاح حالة التعايش والتعاون والوحدة بين المسيحيين العرب وإخوانهم المسلمين سواءً من تيارات الإسلام السياسي أو من غيرهم.

وتحت عنوان "أبرز الإشكالات والمخاوف التي تعترى رؤية المسيحيين وشعورهم تجاه صعود التيار الإسلامي في المنطقة" يوضح الكتاب في فصله الأول بداية العلاقة والاحتكاك المباشر بين المسلمين والمسيحيين إبان الفتح الإسلامي للمنطقة.

بالوصول إلى يومنا الحاضر، تعود المخاوف التاريخية لتطفو على السطح بالرغم من اللُحمة التي أبدتها المجتمعات العربية على اختلاف مكوناتها خلال الثورات العربية، فما أن رحلت رؤوس الأنظمة التي كانت الجماهير تنادي برحيلها حتى ظهر الإسلاميون ليمثلوا القوة السياسية والشعبية الأبرز، الأمر الذي نفى الغبار عن بعض تلك التراكمات القديمة في أذهان الكثيرين، وهو ما دفع إلى ضرورة التنبيه لخطر التطرف الديني والفتن الطائفية التي يعدّها الكتاب من أهم الأسباب التي قد تؤدي إلى إجهاض هذه الثورات.

ويؤكد الكتاب على أن الضمانة الحقيقية لوحدة المجتمعات العربية وحمايتها من الانزلاق في أتون الطائفية، هي التأكيد على مفاهيم العدالة الاجتماعية والحرية الدينية وتقنين تلك المفاهيم عوضاً عن استخدامها كمجرد شعارات، كما ويؤكد على ضرورة تعزيز الأرضية المشتركة التي تجمع مختلف المكونات في المجتمعات العربية من قبيل ما أسماه الكتاب "العروبة الثقافية" والتي كان لها دور فعال في مراحل مختلفة من التاريخ في توحيد جميع تلك المكونات في بوتقة واحدة وحماية الأقليات من ذلك النزيف الوجودي بحسب الكتاب.

وينتقل الكتاب في المبحث الثاني من الفصل الأول للحديث عن رؤية الإسلاميين ونظرتهم في التعامل مع المسيحيين العرب، والذي يؤكد في مقدمته على سماحة الإسلام ومساواته بين الناس على اختلاف أديانهم وأعرافهم، ويستدل بآيات وأحاديث شريفة ووقائع تاريخية على تلك المعاني، ويؤكد على ضرورة وضع الإسلاميين تلك الضوابط الإسلامية نصب أعينهم عند التعاطي مع قضية المسيحيين العرب.

وبالرغم من اعتبار الكتاب مخاوف المسيحيين العرب وهو اجسهم مشروعة ومبررة، إلا أنه يرسم صورة متفائلة للمستقبل بناءً على شواهد الماضي القريب إبان ثورات الربيع العربي، فتلك الشعوب ثارت على الظلم ولن ترضى بعودته مجدداً بأي شكل من الأشكال، ويطالب الكتاب بمنح الإسلاميين الفرصة لتصحيح الأخطاء السابقة وتصحيح المفاهيم المشوهة التي رسخت لدى البعض بفعل الاستعمار والحملات الإعلامية المغرضة بحسب الكتاب.

ويشيد الكتاب بمواقف الإسلاميين وإنجازاتهم في السنوات الأخيرة في هذا الميدان، سواءً في العراق أو سوريا أو الأردن، والتي تمثلت في رؤية الإسلاميين للإصلاح الصادرة عام 2005، وليس انتهاءً بمواقف وإنجازات الإسلاميين في مصر مؤخراً بقيادة حزب الحرية والعدالة.

ويرهن الكتاب في ختام فصله الأول النجاح في تعزيز الوحدة الوطنية في مدى قدرة الإسلاميين والمسيحيين والسياسيين ملتزمين بثقافة الأمة، كما أسماهم الكتاب، على الالتقاء

والحوار والوصول إلى برامج وصيغ عمل مشتركة على الصعيدين الداخلي والخارجي لتعزيز تلك الوحدة والعمل المشترك في خدمة قضايا الأمة الرئيسية.

وبعيداً عن الماضي، ينتقل الكتاب في فصله الثاني للحديث عن الثورات العربية وتأثيرها على مخاوف المسيحيين من وجهة نظر المسيحيين العرب الذين لا ينكرون ميزات تلك الثورات وسبقها على مستويات عديدة يعدها الكتاب، إلا أنهم أيضاً يلفتون الانتباه إلى حالة عدم الاستقرار التي تشهدها المنطقة وما لها من تأثيرات وجودية عليهم تمثلت بهجرة الكثيرين منهم إلى الغرب، فإن تلك الثورات بحسب الكتاب قد استغلت من قبل الغرب في مسلسل إفراغ المسيحيين من المنطقة بهدف القضاء على ثقافة التنوع والاختلاف فيها، وتكريس نمط من الثقافة الأحادية المتحجرة، ومنع التواصل الحضاري بين دول المشرق العربي التي كان المسيحيون يلعبون دوراً مهماً فيه، ويختم الكتاب هذا المبحث بعدد من النقاط تمثل أبرز ما يمكن للمسيحيين العرب فعله لكي يضمنوا بقاءهم في أوطانهم وممارسة رسالتهم.

ويتناول الكتاب في المبحث الثاني من فصله الثاني إمكانية تشكيل رؤية عربية إسلامية-مسيحية مشتركة لبناء الدولة الحديثة المتمخضة عن ذلك الربيع العربي، يتحدث فيه عن دور فاعل للشباب الذي قام بتلك الثورات وتجسدت فيه روح الوحدة الوطنية، ثم ينتقل إلى المطالبة بالتركيز على الهم المشترك والدوافع المشتركة التي وحدت ذلك الشباب في تلك الثورات من هم اقتصادي واجتماعي ومطالبة بالكرامة الإنسانية.

كما يطالب الكتاب بتجاوز الأقليات والأكثرية وتأسيس فكرة المواطنة الكاملة المتساوية، إضافة إلى مطالبة المسيحيين بتجاوز أطروحة الحماية وتجاهل رسائل التخويف والاندماج في العمل السياسي والمجتمع دون خوف أو انعزالية أو استقطاب على أساس ديني خوفاً من ضياع حقوقهم. ويعدّ الجانب الفكري وإعادة النظر في المنطلقات والاستقطابات السياسية، إضافة إلى الاجتهاد والتجديد في بنية المؤسسات الدينية وخطابها من أهم الأمور التي يجب على النخب من الطرفين الاهتمام بها في إطار تشكيل تلك الرؤية المشتركة، حيث يقترح الكتاب العمل على المستويات الدستورية والقانونية والمجتمعية لتحويل النتائج التي يتوصل إليها الطرفان إلى واقع ملموس في تلك الدول العربية الحديثة.

وفي الختام، يعقد الكتاب الآمال على قدرة الشباب العربي على التغيير والدفع باتجاه تكوين تلك المجتمعات التي يمكن للعرب على اختلافهم العيش فيها دون خوف أو ظلم أو انقاص من أي

حق من حقوقهم الطبيعية، وهو ما أبدى الإسلاميون التزامهم به من خلال مشاركتهم في حكم الدول العربية ما بعد الثورات العربية.